مجلّة جامعة عدن للعلوم الانسانيّة والاجتماعية
EJUA-HS Vol. 6 No. 2 (2025)
https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2025.2.441
ISSN: 2708-6275

مقالة بحثية

السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله من خلال القرآن الكريم

صالحة بنت حسن محمد الشهري[1،2،*]

[1] قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة وأصول الدين، جامعة الملك خالد، أبها، السعودية.
[2] قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، السعودية.

* الباحث الممثل: صالحة بنت حسن محمد الشهري؛ البريد الالكتروني: Saleha1409@hotmail.com

استلم في: 10 يونيو 2025 / قبل في: 25 يونيو 2025 / نشر في: 30 يونيو 2025

المُلخّص

يدور البحث حول استخراج السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله من آيات القرآن الكريم ودراستها عقديًا. وهو يتكون من فصلين أحدهما تنظيري: عرّفت فيه بمعنى السنن الإلهية لغة واصطلاحًا ومعنى السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله. والآخر تطبيقي: تحدثت فيه عن أبرز السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله ودلّلت عليها من القرآن وذكرت أقوال المفسرين حولها، ثم استنبطت من مجموع الآيات وأقوال المفسرين أهم معاني تلك السنن ودلالاتها العقدية. ثم ختمت البحث بما توصلت إليه من نتائج، من أهمها: أن السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله هي تلك السنن الظاهرة المشاهدة التي تدل على عظمة الباري سبحانه واستحقاقه وحده العبادة دون سواه. وأن من أهم تلك السنن: سنة الخلق، وسنة الإحكام، وسنة التسخير، وسنة الرزق. وذكرت بعض التوصيات، من أهمها: ضرورة دراسة السنن دراسة عقدية تربط الخلق بخالقهم جلّ وعلا وتفسر أحداث الكون تفسيرًا صحيحًا بعيدًا عن لوثة الفلسفات المادية. ثم ذيّلت البحث بأهم مصادره ومراجعه.

الكلمات المفتاحية: السنن الإلهية، الخلق، الإحكام، التسخير، الرزق.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق الخلق بإرادته، ودبّر أمرهم بحكمته وقدرته ومشيئته، فأقام الكون على سننٍ ثابتة لا تتبدل ولا تتغير ولا تتحول ولا تحابي أحدًا ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [سورة الأحزاب: 62]، ﴿سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلٗا﴾ [سورة الإسراء: 77]. وذلك من كمال حكمته ودقة إحكامه وبديع صنعه من جهة، ورحمته ولطفه ورأفته بعباده من جهة أخرى؛ إذ لو كان الكون لا تأطره سنة ولا يحكمه قانون لاتصف بالعشوائية والتخبط، ولما استقام العيش وسارت الحياة وتحقق مفهوم الاستخلاف في الأرض كما يريده جلّ وعلا.

وهذه السنن الإلهية منها ما هو كوني متعلق بالكون وأحداثه المستمرة المتعاقبة المطردة، ومنها ما هو اجتماعي متعلق بالبشر على وجه الخصوص، أفرادًا وجماعات وأمم، وما يحكم حركاتهم وتفاعلاتهم وأفعالهم من سنن، وما يترتب على ذلك من نتائج وعواقب إيجابية أو سلبية في الدنيا أو الآخرة. يقول الله تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [سورة آل عمران: 137].

والذي تجدر الإشارة إليه في هذا البحث هو أن السنن كثيرة جدًا لمن تتبعها سواءً في الكون المنظور أو في النصوص الشرعية التي جاءت في القرآن والسنة، ولكني سأقتصر على السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله من خلال آيات القرآن الكريم، والتي وقع اختياري عليها؛ لما تحمله من دلائل بارزة على وجود الخالق جلّ جلاله وتفرّده بالملك والقهر والعظمة والقدرة وكل معاني الربوبية الحقة والألوهية المحضة. والله أسأل التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

1. الارتباط الوثيق بين السنن الإلهية ومسائل الاعتقاد، وعدم وضوح ذلك لدى الكثيرين.
2. ترسيخ عقيدة المسلم وتقوية إيمانه بتأمل السنن الإلهية المبثوثة في الكون المنظور وفي الكتاب المسطور، والتي حفظ الله بها الكون وأقام بها الوجود.

3. دور السنن الإلهية في إقامة الحجة على من جحد الخالق أو أشرك معه غيره في العبادة.
4. دور الكشف عن السنن الإلهية في حركة الإصلاح وعمارة الأرض وتحقيق التوحيد وإقامة العدل ودفع الباطل.

أهداف البحث:

1. إبراز مفهوم السنن الإلهية.
2. بيان المقصود بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله.
3. إبراز الارتباط الوثيق بين السنن الإلهية وبين العقيدة الإسلامية الصافية.
4. الوقوف على أهمية دراسة السنن الإلهية دراسة عقدية.

منهج البحث:

اعتمدت في بحثي على المنهج الوصفي من خلال بيان مفهوم السنن الإلهية والمقصود بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله، والمنهج الاستقرائي من خلال استقراء آيات القرآن الكريم الدالة على هذه السنن، والمنهج التحليلي من خلال ذكر أقوال المفسرين حول الآيات والخروج بخلاصة تلخص أبرز دلالات كل سنة من السنن المذكورة.

إجراءات البحث:

1. قسمت البحث إلى فصلين وجعلت الأول مدخلًا للثاني، فالفصل الأول يمثل الجانب النظري للسنن الإلهية، والثاني يمثل الجانب التطبيقي من خلال ذكر عدد من السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله وتحليلها عقديًا.
2. قصرت البحث على السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله والواردة في القرآن الكريم فقط.
3. عملت بالمنهج المتبع في الأبحاث العلمية، ومن ذلك:
   - عزوت الآيات القرآنية بذكر اسم السورة ورقم الآية.
   - خرجت الأحاديث النبوية الواردة.
   - وثقت النصوص والأقوال من مصادرها.
   - اكتفيت بوضع معلومات النشر التفصيلية للمصادر ضمن ثبت المصادر؛ حتى لا يتم إثقال البحث.

تبويب البحث:

يتكون البحث من مقدمة وفصلين وخاتمة.

المقدمة: تتضمن أهمية موضوع البحث، وأهدافه، ومنهجه، وإجراءاته، وتبويبه.

الفصل الأول: التعريف بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله، وتحته مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالسنن الإلهية.

المبحث الثاني: المقصود بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله.

الفصل الثاني: السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله، وتحته أربعة مباحث:

المبحث الأول: سنة الخلق.

المبحث الثاني: سنة الإحكام.

المبحث الثالث: سنة التسخير.

المبحث الرابع: سنة الرزق.

خاتمة. فيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

ثبت المصادر.

الفصل الأول: التعريف بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله

المبحث الأول: التعريف بالسنن الإلهية

أولًا: تعريف السنن في اللغة:

السنن في اللغة جمع سنة، والسنة هي الطريقة والسيرة. جاء في لسان العرب: "السنة، السيرة، حسنة كانت أو قبيحة". وهي مأخوذة من (السَّنَن) وهو الطريق، يقال: سَنَنُ الطَّريقِ وسُنَنُه أي: نَهْجُه. وجاء في المعجم: "السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء واطراده في سهولة".[1]

ثانيًا: تعريف السنن الإلهية في الاصطلاح:

السنة في اصطلاح العلماء يعتمد تعريفها على المكان الذي تورد فيه هذه الكلمة، فالسنة في علم الحديث لها تعريف، وفي علم أصول الفقه لها تعريف...وهكذا. والذي يهمني في هذا المقام هو تعريف السنن بهذا المصطلح المركب (السنن الإلهية) وقد تنوعت التعريفات في ذلك، ومنها:

- أن السنة هي: "العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني مثل ما فعل بنظيره الأول".[2] وأن "لفظ السنة يدل على التماثل فإنه سبحانه إذا حكم في الأمور المتماثلة بحكم فإن ذلك لا ينقض ولا يتبدل ولا يتحول، بل هو سبحانه لا يفرق بين المتماثلين..".[3]
- وقيل هي: "الطريقة الثابتة المطردة التي يحكم الله تعالى بها على الكون".[4]
- وقيل: "طريقة حكمته الجارية مع الأسباب المقتضية لمسبباتها، كما قدّرها وأجراها. وهي عادته تعالى بمقتضى حكمته".[5]
- وقيل أيضًا: "مجموعة القوانين التي سنها الله لهذا الوجود، وأخضع لها مخلوقاته جميعًا، على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها".[6]
- كما قيل بأن: "سنن الله تعالى هي منهاج الله تعالى في تسيير الكون وعمارته وحفظ نظام الحياة الإنسانية.. وهي القواعد والأصول اللازمة التي رسمها الله تعالى لهداية الناس وإصلاح دنياهم ودينهم وآخرتهم...على مقتضى حكمته وعدله ومشيئته المطلقة".[7]

وأنت ترى أن هذه التعريفات على تعددها لا يخرج فيها لفظ السنة عن مدلوله اللغوي، وأن المعنى الإجمالي الذي يجمعها هو: (الطريقة والعادة والقانون). فالسنن الإلهية إذن: هي طريقة الله وعادته في خلقه وقوانينه التي أقام عليها الوجود وحفظ بها الكون، بمقتضى حكمته ورحمته وعدله وقدرته ومشيئته.

وهي كما ذكرت آنفًا تنقسم إلى سنن قدرية كونية متعلقة بالطبيعة وما يحدث في الكون كتعاقب الليل والنهار وحركة الكواكب ونحوها. وسنن اجتماعية متعلقة بالبشر كسنن السعادة والشقاء والهدى والضلال والنصر والتمكين ونحوها، ويدخل فيها السنن الدينية الشرعية المتعلقة بدين الله وأمره ونهيه ووعده ووعيده.

وكلاهما يتصف بالثبات وعدم التحول والتبدل، وليس معنى هذا أن هناك أي حتمية تسري على الخالق جلّ في علاه، بل يعني أن الله تعالى الخالق العظيم قدّر هذه السنن وأجراها بمحض إرادته ومشيئته وحكمته؛ حفظًا للنظام الكوني ورأفةً بالخلق ليستقيم أمرهم ومعاشهم، إذ لولا ثبات السنن وقيامها على ربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات لما هنأوا بعيش ولقاسوا من المشقة والعناء ما الله به عليم، ولا تصف الكون كله بالعبث والعشوائية والصدفة وما إلى ذلك من مادية وإلحاد. إلا أن السنن القدرية الكونية قد تنخرق أو تتخلف أحيانًا لحكمة الباري ومشيئته سبحانه،[8] أما السنن الاجتماعية فلا تنخرق لأحد وإن طال أمد تحققها؛ بحكم سنن الله تعالى في الاجتماع البشري، وتبعًا لتحقق شروط وانتفاء موانع معينة لوقوعها ونفاذها، ولأنها مرتبطة بدين الله وشرعه وأمره الذي ما كان له أن يتغير أو يتبدل، يقول ابن حزم رحمه الله: "فإنه لا يشك أحد من المسلمين قطعًا في أن كل ما علّمه رسول الله ﷺ أمته من شرائع الدين واجبها وحرامها ومباحها فإنها سنة الله تعالى...فصح يقينًا لا شك فيه أن كل سنة سنها الله تعالى من الدين لرسوله ﷺ وسنها رسوله عليه السلام لأمته فإنها لا يمكن في شيء منها تبديل ولا تحويل أبدًا".[9] ويقول ابن تيمية رحمه الله: "وهو لم يخبر بأن كل عادة لا تُنتقض، بل أخبر عن السنة التي هي عواقب أفعال العباد بإثابة أوليائه، ونصرهم على الأعداء، فهذه هي التي أخبر أنه لن يوجد لها تبديل ولا تحويل".[10]

كما تتصف السنن الإلهية بالشمولية، فهي شاملة لكل جوانب الحياة وأحداث الكون. وكذا الاطراد وتكرار الوقوع.

---

[1]- انظر لسان العرب، لابن منظور (13/ 225، 226). وتهذيب اللغة، للأزهري (12/ 210 – 215). والصحاح، للجوهري (5/ 2138، 2139). ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (3/ 60).
[2]- مجموع الفتاوى، لابن تيمية (13/ 20).
[3]- جامع الرسائل، لابن تيمية (1/ 55).
[4]- مجلة المنار، لمحمد رشيد رضا (1/ 14).
[5]- سنن الله في الأمم، لحسن الحميد ص20.
[6]- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، لأحمد كنعان ص37.
[7]- الآثار الاجتماعية للسنن الإلهية، رشيد كهوس ص15.
[8]- كحبس الشمس ليوشع عليه السلام وتوقفها عن الغروب – على غير العادة – حتى افتتح أريحا بفلسطين عشية جمعة. وكجعل النار – التي طبيعتها الإحراق – بردًا وسلامًا على إبراهيم عليه السلام.
[9]- الإحكام في أصول الأحكام (1/ 128).
[10]- الرد على المنطقيين ص391.

المبحث الثاني: المقصود بالسنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله

إن الإيمان بالله تعالى يتضمن أربعة أمور هي: الإيمان بوجود الله، والإيمان بربوبيته، والإيمان بألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته.

وبناءً عليه، فإن السنن الإلهية التي قام عليها نظام الكون دالةٌ على هذه الأمور الأربعة من وجوه:

الأول: أنها سنن ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ولا تتغير وهذا من أعظم ما يدل على وجود خالق مدبّر لهذا الكون.

الثاني: أن توحيد الربوبية هو: توحيد الله بأفعاله كالخلق والرزق والإحياء والإماتة، والسنن الإلهية هي أفعاله جلّ وعلا وقوانينه التي أقام عليها الوجود.

الثالث: أن السنن الإلهية بما تحمله من خصائص وصفات إنما تدل على إلهٍ حقٍ واحد يستحق وحده العبادة. هذا أمر، والأمر الآخر أن معرفة السنن الإلهية وتدبّرها يملأ قلب العبد بالإجلال والتعظيم والتوقير لله تعالى والإقبال عليه حبًا وخوفًا ورجاءً فهي عين العبودية لله ربّ العالمين.[11]

الرابع: أن أسماء الله جلّ وعلا الحسنى وصفاته العلى تتجلّى من خلال السنن الإلهية المبثوثة في الوجود، ذلك أن كل السنن الإلهية الكونية من خلق وإحكام ورزق وحركة كواكب إلى غير ذلك، والسنن الاجتماعية من استخلاف وابتلاء واستدراج وإمهال ونصر وهلاك وهداية وإضلال إلى غير ذلك، إنما تدل على كمال ملك الباري جلّ وعلا وعلمه وقهره وعظمته وقوته وقدرته ومشيئته وعفوه ورحمته وعدله وحكمته.

إذا تبيّن هذا، فإن السنن الإلهية بنوعيها الكوني والاجتماعي ما هي إلا تجسيد حي للعلاقة بين الخالق والمخلوق، وواقع يُحتّم ربط الكون بكل ما فيه بمن أوجده وسنّ قوانينه. **وعندما أقول:** السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله فأنا لا أتحدث عن سنن دون أخرى؛ وإنما المقصود هو الإشارة إلى تلك السنن الواضحة الظاهرة للعيان، التي يشهد بها الجاهل قبل العالِم، والأمي قبل المتعلم، والكافر قبل المؤمن إلا من طمس الله على قلبه أو جحدها استكبارًا وعلوًا. فهي سنن كونية تسمى بـ (سنن الآفاق) لا تخطئها العين ولا تنكرها الفطرة ولا تلتبس على ذي لُبّ، وبالتالي فهي من أعظم الأدلة وأولها وأهمها في الدلالة على وجود الله تعالى وربوبيته وتفرده بالألوهية الحقة والكمال المطلق، مما يبطل القول بالصدفة ويقتلها في مهدها ويرد على الملحدين المنكرين، ذلكم أن هذه السنن هي ذاتها التي استدل بها الأعرابي الأميّ على وجود الله تعالى عندما سُئل بمَ عرفت ربك؟ فقال قولته الشهيرة: الأثر يدل على المسير، والبعرة تدل على البعير، فسماءٌ ذات أبراج، وأرضٌ ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟ وصدق الله إذ يقول: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾. أي إن في كل ذلك لدلائل واضحة على وحدانيته سبحانه لمن يعقلون الحجج ويفهمون الأدلة والبراهين.

الفصل الثاني: السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله

المبحث الأول: سنة الخلق.

تظهر هذه السنة في عدد كبير من آيات القرآن الكريم، ومنها ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ۝١ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 1 – 2].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ﴾ [سورة النساء: 1].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 54].

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [سورة الرعد: 16].

وقوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ۝٣ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ۝٤ وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ﴾ [سورة النحل: 3 – 5].

[11]- انظر السنن الإلهية مقدمات ومفاهيم وأصول، رشيد كهوس ص36.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ١٣ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ﴾ [سورة المؤمنون: 12 – 14].

وقوله تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ٣٥ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [سورة الطور: 35 – 36].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾ [سورة الغاشية: 17 – 20].

هذه بعض آيات القرآن الكريم التي تدل على سنة الله تعالى في الخلق، ومما قاله المفسرون حولها ما يأتي:

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [سورة الأنعام: 1]: "يعني تعالى ذكره بقوله: "الحمد لله"، الحمد الكامل لله وحده لا شريك له دون جميع الأنداد والآلهة، ودون ما سواه مما تعبده كفرة خلقه من الأوثان والأصنام. وهذا كلام مخرجه مخرج الخبر ينحى به نحو الأمر. يقول: أخلصوا الحمد والشكر للذي خلقكم، أيها الناس، وخلق السماوات والأرض، ولا تشركوا معه في ذلك أحدا أو شيئا، فإنه المستوجب عليكم الحمد بأياديه عندكم ونعمه عليكم، لا من تعبدونه من دونه، وتجعلونه له شريكًا من خلقه".[12]

ويقول المراغي: "﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [سورة الأنعام: 1] أي: ثم إنهم مع ذلك يعدلون به سواه، ويسوونه به في العبادة التي هي أقصى غاية الشكر، ويدعونه لكشف الضر وجلب النفع، وهو لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا. وبعد أن وصف الخالق تعالى بما دل على توحيده واستحقاقه للحمد- انتقل إلى خطاب المشركين الذين عدلوا به غيره في العبادة مذكرًا لهم بدلائل التوحيد والبعث فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ﴾ [سورة الأنعام: 2] أي: هو الذي خلقكم من الطين (التراب الذي يخالطه ماء) فقد خلق أباكم آدم من الطين كما خلق سائر الأحياء التي في هذه الأرض بل خلق كل فرد من أفراد البشر من سلالة من طين، فإن بنية الإنسان مكونة من الغذاء ومن ذلك البويضات التي في الأنثى والحيوان المنوي الذي في الذكر فكلها مكونة من الدم، والدم من الغذاء، والغذاء من نبات الأرض أو من لحوم الحيوان المتولدة من النبات فالمرجع إلى النبات من الطين، والناظر في كل هذا يعلم جليا أن القادر على كل هذا لا يعجزه أن يعيد هذا الخلق كما بدأه عند انقضاء آجاله التي قضاها له في أجل آخر يضربه لهذا الإعادة بحسب علمه وحكمته".[13]

ويقول الألوسي: "والمراد بالخلق الإنشاء والإيجاد أي أوجد السماوات والأرض وأنشأهما على ما هما عليه مما فيه آيات للمتفكرين وجعل الظلمات والنور عطف على خلق السماوات داخل معه في حكم الإشعار بعلة الحمد وإن كان مترتبا عليه لأن جعلهما مسبوق بخلق منشئهما ومحلهما كما قيل، والجعل- كما قال شيخ الإسلام- الإنشاء والإبداع كالخلق خلا أن ذلك مختص بالإنشاء التكويني، وفيه معنى التقدير والتسوية وهذا عام له كما في الآية وللتشريعي أيضًا كما في قوله سبحانه: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٖ﴾ [سورة المائدة: 103]".[14]

ويقول الشوكاني: "قال العلماء: هذه السورة أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور".[15]

وجاء في تفسير المنار: "تأمل كيف بدئت هذه السورة بحمد الله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور. ثم التذكير بخلق الناس وقضاء الآجال، وكيف عطف على الأول ذكر شرك الكافرين بربهم بجعل بعض خلقه عدلًا له. مع أن البداهة قاضية بأن الرب الخالق لا يعادله أحد ولا شيء من خلقه. وعطف على الثاني التنبيه لإعراضهم عن الآيات الدالة على الحق، وأنه هو المانع لهم من العلم. تذكيرًا للمستعد للفهم بالمانع ليجتنب، والمقتضي ليتبع، وإيذانًا للعاقل بأن عقائد الإسلام مؤيدة بالحجة والبرهان".[16]

ويقول ابن عاشور: "والاقتصار في ذكر المخلوقات على هذه الأربعة تعريض بإبطال عقائد كفار العرب فإنهم بين مشركين وصابئة ومجوس ونصارى، وكلهم قد أثبتوا آلهة غير الله فالمشركون أثبتوا آلهة من الأرض، والصابئة أثبتوا آلهة من الكواكب السماوية، والنصارى أثبتوا إلهية عيسى أو عيسى ومريم وهما من الموجودات الأرضية، والمجوس وهم المانوية ألهوا النور والظلمة، فالنور إله الخير والظلمة إله الشر عندهم. فأخبرهم الله تعالى أنه خالق السماوات والأرض، أي بما فيهم، وخالق الظلمات والنور... ومعنى خلقكم من طين أنه خلق أصل الناس وهو البشر

[12]- تفسير الطبري (11/ 247).
[13]- تفسير المراغي (7/ 72).
[14]- تفسير الألوسي (4/ 78).
[15]- تفسير الشوكاني (2/ 112).
[16]- تفسير المنار (8/ 240).

الأول من طين، فكان كل البشر راجعًا إلى الخلق من الطين، فلذلك قال: ﴿خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [سورة الأنعام: 2]. وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ [سورة الإنسان: 2] أي: الإنسان المتناسل من أصل البشر".[17]

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [سورة الأعراف: 54] يقول صاحب المنار: " " ألا " أداة يفتتح بها القول الذي يهتم بشأنه، لأجل تنبيه المخاطب لمضمونه وحمله على تأمله، والخلق في أصل اللغة التقدير وإنما يكون في شيء يقع فيه، واستعمل بمعنى الإيجاد بقدر؛ أي: ألا إن لله الخلق فهو الخالق المالك لذوات المخلوقات وله فيها الأمر وهو التشريع والتكوين والتصرف والتدبير فهو المالك، والملك لا شريك له في ملكه ولا في ملكه".[18]

ويقول ابن عاشور: "وجملة: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ مستأنفة استئناف التذييل للكلام السابق من قوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [سورة الأعراف: 54] لإفادة تعميم الخلق. والتقدير: لما ذكر آنفًا ولغيره. فالخلق: إيجاد الموجودات، والأمر تسخيرها للعمل الذي خلقت لأجله... والتعريف في الخلق والأمر تعريف الجنس، فتفيد الجملة قصر جنس الخلق وجنس الأمر على الكون في ملك الله تعالى، فليس لغيره شيء من هذا الجنس، وهو قصر إضافي معناه: ليس لآلهتهم شيء من الخلق ولا من الأمر".[19]

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [سورة الطور: 35] يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: أخلق هؤلاء المشركون من غير شيء، أي من غير آباء ولا أمهات، فهم كالجماد، لا يعقلون ولا يفهمون لله حجة، ولا يعتبرون له بعبرة، ولا يتعظون بموعظة... وقوله: ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [سورة الطور: 35] يقول: أم هم الخالقون هذا الخلق، فهم لذلك لا يأتمرون لأمر الله، ولا ينتهون عما نهاهم عنه، لأن للخالق الأمر والنهي ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ [سورة الطور: 36] يقول: أخلقوا السماوات والأرض فيكونوا هم الخالقين، وإنما معنى ذلك: لم يخلقوا السموات والأرض، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [سورة الطور: 36]... لأنهم لا يوقنون بوعيد الله وما أعد لأهل الكفر به من العذاب في الآخرة".[20]

ويقول البغوي: "﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ﴾ [سورة الطور: 35]، قال ابن عباس: من غير رب، ومعناه: أخلقوا من غير شيء خلقهم فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون، لأنفسهم، وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق، فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي، قال الزجاج: معناه أخلقوا باطلًا لا يحاسبون ولا يؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أخلقوا عبثًا وتركوا سدًى لا يؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي لغير شيء، ﴿أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [سورة الطور: 35] لأنفسهم، فلا يجب عليهم لله أمر؟ ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ﴾ [سورة الطور: 36]، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [سورة الطور: 36]".[21]

ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [سورة الغاشية: 17]: "قال المفسرون: لما ذكر الله عز وجل أمر أهل الدارين، تعجب الكفار من ذلك، فكذبوا وأنكروا، فذكرهم الله صنعته وقدرته، وأنه قادر على كل شي، كما خلق الحيوانات والسماء والأرض. ثم ذكر الإبل أولًا، لأنها كثيرة في العرب، ولم يروا الفيلة، فنبههم جل ثناؤه على عظيم من خلقه، قد ذلله للصغير، يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك، فينهض بثقيل حمله، وليس ذلك في شيء من الحيوان غيره. فأراهم عظيمًا من خلقه، مسخرا لصغير من خلقه، يدلهم بذلك على توحيده وعظيم قدرته".[22]

ويقول ابن عاشور: "...فالفاء في قوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ تفريع التعليل على المعلل؛ لأن فظاعة ذلك الوعيد تجعل المقام مقام استدلال على أنهم محقوقون بوجوب النظر في دلائل الوحدانية التي هي أصل الاهتداء إلى تصديق ما أخبرهم به القرآن من البعث والجزاء، وإلى الاهتداء إلى أن

---

[17]- تفسير ابن عاشور (7/ 130).
[18]- تفسير المنار (8/ 404).
[19]- تفسير ابن عاشور (8/ 169).
[20]- تفسير الطبري (22/ 481).
[21]- تفسير البغوي (4/ 295).
[22]- تفسير القرطبي (20/ 34، 35).

منشئ النشأة الأولى عن عدم بما فيها من عظيم الموجودات كالجبال والسماء، لا يستبعد في جانب قدرته إعادة إنشاء الإنسان بعد فنائه عن عدم، وهو دون تلك الموجودات العظيمة الأحجام، فكان إعراضهم عن النظر مجلبة لما يجشمهم من الشقاوة...".[23]

خلاصة ما سبق: نخلص من هذه النقولات في معاني الآيات إلى ما يأتي:

أولًا: "الخلق" سنة إلهية كونية تعني: الإنشاء والإيجاد والتقدير. وتعدّ من أعظم الأدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وكل ما في الكون من عظيم الخلق وبديع الصنع شاهدٌ على ذلك، يقول الله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة لقمان: 11].

ثانيًا: سنة الخلق في هذا الكون تُحتّم ضرورة وجود خالق، فهي دلالة حسية عقلية فطرية قبل أن تكون دلالة نقلية يقررها الكتاب أو السنة؛ فهي حسية باعتبار مظاهر الخلق لهذا الكون وما فيه من تنوع وتعدد؛ سماوات وأرضين، كواكب وأفلاك، بحار وأنهار، أشجار وأحجار، هواء وماء، ليل ونهار، إنس وجن، حيوان ونبات، فضاءٌ واسعٌ ممتدٌ باهر يدهش العقول وتخضع له الأفئدة. وهي عقلية باعتبار أن الخلق لا بد له من خالق، والموجودات لا بد لها من موجد، والمخلوق لا يمكن أن يخلق نفسه، وهذا ما يسمى بالدور أو التسلسل الذي يحيله العقل. وهي فطرية فطر الخالق عليها خلقه، يجدها كل أحد ضرورةً في نفسه. إذن: فالبداهة قاضية بأن الرب الخالق لا يعادله أحد ولا شيء من خلقه، وكل من ألحد أو أنكر الخالق فقد طمس الله على قلبه بشبهةٍ أو شهوة أو أنكره جحودًا واستكبارًا عن قول الحق كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ﴾ [سورة النمل: 14].

ثالثًا: في سنة الخلق تتضح أعظم مظاهر الربوبية الحقة والكمال الإلهي والملك التام، وتتجلّى أبرز معاني أسماء الله جلّ وعلا الحسنى وصفاته العلى؛ كالمُلك والعلم والقدرة والإرادة والمشيئة، فهو الخالق وغيره مخلوق، وهو المَلِك وغيره مملوك، وهو العليم بخلقه، القادر عليه، يخلق ما يشاء ويختار.

رابعًا: في سنة الخلق استدلال بالربوبية على الألوهية، وربط بديع لعلاقة الخالق بالمخلوق، وهذا الاستدلال أحد أبرز مسالك القرآن في الدلالة على توحيد العبادة، وهو مما بُعثت به الرسل إلى أقوامهم، يظهر هذا الاستدلال والربط في مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [سورة البقرة: 21]. وقوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا﴾ [سورة هود: 61]. وتأمل قوله تعالى مشنّعًا على الكفار عدم اعتبارهم بملكه في السماوات والأرض وما خلق فيهما من حيوان ونبات وغيرهما: ﴿أَوَلَمۡ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٖ وَأَنۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقۡتَرَبَ أَجَلُهُمۡۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾ [سورة الأعراف: 185]. وقوله تعالى في سورة الملك مخاطبًا نبيه ﷺ في دعوته: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُمۡ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ٢٣ قُلۡ هُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [سورة الملك: 23 - 24].

خامسًا: في سنة الخلق استدلال على البعث، فمن خلق من لا شيء قادرٌ على أن يعيد هذا الخلق كما بدأه، بل أقدر عليه. ومن خلق هذه الموجودات العظيمة كالسماوات والأرض والجبال قادر على خلق الإنسان وإعادته كما كان وهو دون هذه المخلوقات في عظمتها.

سادسًا: في سنة الخلق استدلال على خلق الجنة وما أعدّ فيها لأوليائه وأهل طاعته من أصناف النعيم وخلق النار وما أعدّ فيها لأعدائه وأهل معصيته من ألوان العذاب، ذلك أن في هذه السنة وتأمل مفردات الخلق وتنوع أجناسه وتعدد خصائصه دليل على القدرة الربانية التي لا حدّ لها. يقول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٖ مَّعۡرُوشَٰتٖ وَغَيۡرَ مَعۡرُوشَٰتٖ وَٱلنَّخۡلَ وَٱلزَّرۡعَ مُخۡتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٖۚ﴾ [سورة الأنعام: 141]. ويقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖۖ فَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ بَطۡنِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰ رِجۡلَيۡنِ وَمِنۡهُم مَّن يَمۡشِي عَلَىٰٓ أَرۡبَعٖۚ يَخۡلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [سورة النور: 45].

سابعًا: جرت سنة الله تعالى في خلق الإنسان أن يكون من طين، فلقد خلق آدم أصل البشر من طين، ثم تناسل بنو آدم على هذه الشاكلة. وجرت سنته تعالى في خلق الكائنات الحية على تنوعها أن يكون من أبوين: ذكر وأنثى، وأن يكون "تكوين هذه الأجنة على اختلافها يبدأ من التقاء نطفة الذكر ببيضة الأنثى، ومن خلال عرس اللقاء هذا تتشكل خلية واحدة، هي العروس الملقحة التي لا تلبث أن تبدأ بالانقسام والتكاثر،

[23]- تفسير ابن عاشور (30/ 303، 304).

على خليتين، ثم أربع، ثم ثمان، ثم ست عشرة.. وفي مرحلة لاحقة يبدأ تخصيص كل مجموعة من الخلايا المتكاثرة، لتشكيل عضو من أعضاء المخلوق الجديد إلى أن يكتمل نموه، ويبلغ غاية خلقه، ويخرج إلى الحياة مخلوقًا كاملًا سويًا... ومما لا ريب فيه أن هذا الأسلوب الموحد في تخلق الأجنة المختلفة يوحي أنها تخضع جميعًا لمنهج واحد من السنن الشاملة.. كما يدل هذا الأمر على أن سنن الحياة لا تسود عالم الإنسان وحده، بل تسود عالم المخلوقات الحية كلها"[24] وهذا إنما يدل على وحدانية الباري جلّ جلاله.

ثامنًا: من المعاني الجليلة السامية في سنة الخلق أن الخالق جلّ جلاله لحكمته البالغة وقدرته الباهرة ورحمته الواسعة قد **أحكم** خلقه، وهيأ لكل نوع ما يحتاجه، كتب الأرزاق، وسنّ الآجال، وسخّر بعض الخلق لبعض. واختار الإنسان من بين كل تلك الموجودات، فأكرمه واصطفاه بالعقل والتكليف وحرية الاختيار، واستخلفه في الأرض ليعمرها كما أراد الله، ثم يحشر إلى ربه فيحاسب بأعماله إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر.

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠ يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ۝٧١ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [سورة الإسراء: 70 – 72].

المبحث الثاني: سنة الإحكام.

تظهر هذه السنة في القرآن الكريم في عدد من الآيات، منها ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [سورة آل عمران: 190 – 191].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ۝٤٦ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان: 45 – 47].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [سورة الفرقان: 53].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝٧١ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ۝٧٢ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [سورة القصص: 71 – 73].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة فاطر: 41].

وقوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ۝٣٧ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ۝٣٨ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ۝٣٩ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: 37 – 40].

وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ۝٦ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٧ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سورة ق: 6 – 8].

[24]- أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، لأحمد كنعان ص39.

وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ۝٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [سورة الملك: 3 – 4].

هذه بعض الآيات التي تدل على سنة الله في الإحكام، وهي كثيرة جدًا لمن تدبّر القرآن. وفيما يأتي بعض أقوال المفسرين حول هذه الآيات:

يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: 190]: "وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك،[25] وعلى سائر خلقه، بأنه المدبر المصرف الأشياء والمسخر ما أحب، وأن الإغناء والإفقار إليه وبيده، فقال جل ثناؤه: تدبروا أيها الناس واعتبروا، ففيما أنشأته فخلقته من السماوات والأرض لمعاشكم وأقواتكم وأرزاقكم، وفيما عقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم، تتصرفون في هذا لمعاشكم، وتسكنون في هذا راحة لأجسادكم معتبر ومدكر، وآيات وعظات. فمن كان منكم ذا لب وعقل، يعلم أن من نسبني إلى أني فقير وهو غني كاذب مفتر، فإن ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه، ولو أبطلت ذلك لهلكتم، فكيف ينسب إلى فقر من كان كل ما به عيش ما في السماوات والأرض بيده وإليه؟ أم كيف يكون غنيًا من كان رزقه بيد غيره، إذا شاء رزقه، وإذا شاء حرمه؟ فاعتبروا يا أولي الألباب...وأما قوله: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة آل عمران: 191] ، فإنه يعني بذلك **أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك**، فيعلمون أنه لا يصنع ذلك إلا من ليس كمثله شيء، ومن هو مالك كل شيء ورازقه، وخالق كل شيء ومدبره... وقوله: ﴿مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [سورة آل عمران: 191] يقول: لم تخلق هذا الخلق عبثًا ولا لعبًا، ولم تخلقه إلا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة".[26]

ويقول القرطبي: "فختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته، إذ لا تصدر إلا عن حي قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين، حتى يكون إيمانهم مستندًا إلى اليقين لا إلى التقليد ﴿لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة آل عمران: 190] الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل".[27]

ويقول الشوكاني: "والمعنى: أنهم يتفكرون في **بديع صنعهما، واتقانهما**، مع عظم أجرامهما، فإن هذا الفكر إذا كان صادقًا أوصلهم إلى الإيمان بالله سبحانه".[28]

ويقول المراغي: "أي إن في نظام السماوات والأرض **وبديع تقديرهما وعجيب صنعهما**، وفي اختلاف الليل والنهار وتعاقبهما **بنظام دقيق طوال العام**، نرى آثاره في أجسامنا وعقولنا بتأثير حرارة الشمس وبرد الليل، وفي الحيوان والنبات وغير ذلك- لآيات ودلائل على وحدانية الله وكمال علمه وقدرته". ثم ذكر الحديث عن عائشة رضي الله عنها وفيه: "(أن رسول الله ﷺ قال: هل لك يا عائشة أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي؟ ...فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له: يا رسول الله أتبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال: يا بلال أفلا أكون عبدًا شكورًا؟ ثم قال وما لي لا أبكى وقد أنزل الله عليّ في هذه الليلة: إن في خلق السماوات والأرض إلخ، ثم قال: (ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها) وروي (ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها)".[29]

وفي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٌ﴾ [سورة الفرقان: 53] يقول الطبري: "وإنما عنى بذلك أنه من نعمته على خلقه، وعظيم سلطانه، يخلط ماء البحر العذب بماء البحر الملح الأجاج، ثم يمنع الملح من تغيير العذب عن عذوبته، وإفساده إياه بقضائه وقدرته، لئلا يضر إفساده إياه بركبان الملح منهما، فلا يجدوا ماء يشربونه عند حاجتهم إلى الماء، فقال جل ثناؤه: ﴿وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخًا﴾ [سورة الفرقان: 53] يعني حاجزًا يمنع كل واحد منهما من إفساد الآخر ﴿وَحِجۡرًا مَّحۡجُورًا﴾ [سورة الفرقان: 53] يقول: وجعل كل واحد منهما حرامًا محرمًا على صاحبه أن يغيره ويفسده".[30]

ويقول ابن عطية: " والذي أقول به في الآية إن المقصد بها التنبيه على قدرة الله تعالى **وإتقان خلقه** للأشياء في أن بث في الأرض مياها عذبة كثيرة من أنهار وعيون وآبار، وجعلها خلال الأجاج وجعل الأجاج خلالها، فتلقى البحر قد اكتنفته المياه العذبة في ضفتيه، وتلقى الماء

---

[25]- يشير إلى الآية 181 وهي قوله تعالى: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء﴾. تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.
[26]- تفسير الطبري (3/ 473 – 476).
[27]- تفسير القرطبي (4/ 310).
[28]- تفسير الشوكاني (1/ 470).
[29]- تفسير المراغي (4/ 161، 162). والحديث في الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين، مقبل الوادعي (5/ 564) برقم (3974). والحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما في كثرة عبادة النبي ﷺ وقوله: (أفلا أكون عبداً شكوراً). أما رواية: (ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها) فلم أجدها في غير تفسير المراغي.
[30]- تفسير الطبري (19/ 283).

العذب في الجزائر ونحوها قد اكتنفه الماء الأجاج فبثها هكذا في الأرض هو خلطها...و«البحران» يريد بهما جميع الماء العذب وجميع الماء الأجاج، كأنه قال مرج نوعي الماء والبرزخ والحجر هو ما بين الْبَحْرَيْنِ من الأرض واليبس..."."[31]

وفي قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [سورة يس: 37] يقول ابن عطية: "هذه الآيات جعلها الله عز وجل أدلة على القدرة ووجوب الألوهية له، ونَسْلَخُ معناه نكشط ونقشر، فهي استعارة...و «مستقر الشمس» على ما روي في الحديث عن النبي ﷺ من طريق أبي ذؤيب «بين يدي العرش تمجد فيه كل ليلة بعد غروبها» وقالت فرقة: مستقرها هو في يوم القيامة حين تكون فهي تجري لذلك المستقر، وقالت فرقة: مستقرها كناية عن غيوبها لأنها تجري كل وقت إلى حد محدود تغرب فيه...ومَنازِلَ نصب على الظرف، وهذه المنازل المعروفة عند العرب وهي ثمانية وعشرون منزلة يقطع القمر منها كل ليلة أقل من واحدة فيما يزعمون، وعودته هي استهلاله رقيقا، وحينئذ يشبه «العرجون» وهو الغصن من النخلة الذي فيه شماريخ التمر فإنه ينحني ويصفر إذا قدم ويجيء أشبه شيء بالهلال...، ويَنْبَغِي هنا مستعملة فيما لا يمكن خلافه لأنها لا قدرة لها على غير ذلك".[32]

ويقول المراغي: "... والخلاصة- إن تعاقب الليل والنهار على ظهر البسيطة من أكبر الأدلة على قدرة المولى سبحانه، وفيه عبرة لمن يعي ويفهم، وإن البعث والنشور من أيسر الأمور عليه سبحانه. ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [سورة يس: 38] أي: والشمس تجري حول مركز مدارها **الثابت** الذي تسير حوله بحسب وضعها النجمي، فقد ثبت أن لها حركة رحوية حول هذا المركز تقدر بمائتي ميل في الثانية، وهذا الوضع العجيب من تقدير العزيز القاهر لعباده، **القابض على زمام مخلوقاته**، العليم بأحوالها الذي لا تخفى عليه خافية من أمرها...﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ﴾ [سورة يس: 40] أي: لا يصح للشمس ولا يسهل عليها أن تدرك القمر في سرعة سيره، لأن الشمس تجري مقدار درجة في اليوم، والقمر يسير مقدار 13 درجة في اليوم، ولأن لكل منهما مدارا خاصا لا يجتمع مع الآخر فيه. ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ﴾ [سورة يس: 40] أي: ولا تسبق آية الليل وهي القمر، آية النهار وهي الشمس فيحل سلطانه محلها، **إذ أنهما يجريان بحساب منتظم لا يتغير ولا يتبدل**. ﴿وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [سورة يس: 40] أي: وكل من الأرض والشمس والقمر يسبح في فلكه كما يسبح السمك في الماء، فالشمس تجري في مدارها، والأرض تجري حول الشمس في سنة وحول نفسها في يوم وليلة، والقمر يجري حول الأرض كل شهر".[33]

ويقول ابن عاشور: "انتقال إلى دلالة مظاهر العوالم العلوية على **دقيق نظام الخالق** فيها مما تؤذن به المشاهدة مع التبصر. وابتدئ منها بنظام الليل والنهار **لتكرر وقوعه أمام المشاهدة لكل راء**...فكانت آية الشمس المذكورة هنا مرادا بها دليل آخر على **عظيم صنع الله تعالى** وهو نظام الفصول...وذكر صفتي العزيز العليم لمناسبة معناهما للتعلق بنظام سير الكواكب، فالعزة تناسب **تسخير** هذا الكوكب العظيم، والعلم يناسب **النظام البديع الدقيق**... والتقدير: يطلق على جعل الأشياء بقدر **ونظام محكم**، ويطلق على تحديد المقدار من شيء تطلب معرفة مقداره مثل تقدير الأوقات وتقدير الكميات من الموزونات والمعدودات، وكلا الإطلاقين مراد هنا. فإن الله قدر للشمس والقمر نظام سيرهما وقدر بذلك حساب الفصول السنوية والأشهر والأيام والليالي... والإدراك: اللحاق والوصول إلى البغية... ومعنى: ولا الليل سابق النهار أن الليل ليس بمفلت للنهار، فالسبق بمعنى التخلص والنجاة...والمعنى: أن انسلاخ النهار على الليل أمر **مسخر** لا قبل لليل أن يتخلف عنه...والغرض التذكير بنعمة الليل ونعمة النهار فإن لكليهما فوائد للناس فلو تخلص أحدهما من الآخر فاستقر في الأفق لتعطلت منافع جمة من حياة الناس والحيوان... والفلك: الدائرة المفروضة في الخلاء الجوي لسير أحد الكواكب سيرًا مطردًا لا يحيد عنه...وجيء بضمير يسبحون ضمير جمع مع أن المتقدم ذكره شيئان هما الشمس والقمر لأن المراد إفادة تعميم هذا الحكم للشمس والقمر وجميع الكواكب وهي حقيقة علمية سبق بها القرآن".[34]

وفي قوله تعالى: ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ﴾ [سورة الملك: 3] يقول الطبري رحمه الله: "يقول جل ثناؤه: ما ترى في خلق الرحمن الذي خلق لا في سماء ولا في أرض، ولا في غير ذلك من تفاوت، يعني من اختلاف...وقوله: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [سورة الملك: 3] يقول: فرد البصر، هل ترى فيه من صدوع؟...وقوله: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾ [سورة الملك: 4] يقول جل ثناؤه: ثم رد البصر يا ابن آدم كرتين، مرة بعد أخرى، فانظر ﴿هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [سورة الملك: 3] أو تفاوت ﴿يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئًا﴾ [سورة الملك: 4]يقول: يرجع إليك بصرك صاغرًا مبعدًا من قولهم للكلب: اخسأ، إذا طردوه أي أبعد صاغرًا ﴿وَهُوَ حَسِيرٞ﴾ [سورة الملك: 4] يقول: وهو معيٌّ كالّ".[35]

---

[31]- تفسير ابن عطية (4/ 214).
[32]- تفسير ابن عطية (4/ 454).
[33]- تفسير المراغي (23/ 9، 10).
[34]- تفسير ابن عاشور (23/ 17 – 26).
[35]- تفسير الطبري (23/ 506، 507).

ويقول القرطبي رحمه الله: "والمعنى: ما ترى في خلق الرحمن من اعوجاج ولا تناقض ولا تباين- بل هي مستقيمة مستوية دالة على خالقها- وإن اختلفت صوره وصفاته".[36]

وما أجمل تعليل المراغي حين قال في الآية: "وإنما قال: ﴿فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ دون أن يقول: (فيها) تعظيمًا لخلقهن، وتنبيها إلى سبب سلامتهن من التفاوت **بأنهن من خلق الرحمن، وأنه خلقهن بباهر قدرته وواسع رحمته** تفضلًا منه وإحسانًا، وأن هذه الرحمة عامة في هذه العوالم جميعًا".[37]

ويقول ابن عاشور في الآية: "... والمعنى: أنها مرتفع بعضها فوق بعض في الفضاء السحيق، أو المعنى: أنها متماثلة في بعض الصفات مثل التكوير **والتحرك المنتظم** في أنفسها وفي تحرك كل واحدة منها بالنسبة إلى تحرك بقيتها **بحيث لا ترتطم ولا يتداخل سيرها**... والتعبير بوصف الرحمن دون اسم الجلالة **إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس** لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سببًا لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق...".[38]

خلاصة ما سبق: نخلص من هذه النقولات في معاني الآيات إلى ما يأتي:

أولًا: "الإحكام" سنة إلهية كونية مرتبطة بسنة الله في الخلق، تدور معها حيثما دارت وتتصل بها أينما وجدت، ذلك أن الخالق جلّ وعلا، المتفرد بالجلال والكمال والجمال، لمّا خلق؛ أبدع خلقه، وأحكم تكوينه، وأتقن صنعه، وأقام نظام الكون على سنن ثابتة يصلح بها العيش لجميع المخلوقات، ويستقيم بها أمر الموجودات.

ثانيًا: "الإحكام" سنة إلهية ظاهرة يشهد بها الكون الزاخر بما فيه؛ سماواتٍ طباق، وأرضٍ مستوية ممتدة، وكواكب يسير كلًّا منها في فلكه المحدد له، وبحار عميقة لا يختلط فراتها بأجاجها، ليلٌ مظلم للراحة والسكون، ونهارٌ مبصر للسعي والعيش...

ثالثًا: في سنة الإحكام تتجلّى أعظم مظاهر الربوبية وأخصُّ صفات الألوهية، فهذا الإحكام والإتقان في الخلق لا يمكن أن يحدث مصادفة أو يكون خبط عشواء، فإذا تقرّر ذلك استحق هذا الخالق العظيم أن لا تكون العبادة إلا له وحده. كما أن إمساكه جلّ وعلا بزمام مخلوقاته وهذه الطواعية والخضوع الكوني له تعالى يستوجب ضرورة الالتجاء إليه والخضوع له دينًا وشرعًا ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [سورة آل عمران: 83].

رابعًا: في سنة الإحكام استدلال على البعث واليوم الآخر، فتعاقب الليل والنهار على ظهر البسيطة يعد من أكبر الأدلة على قدرة المولى سبحانه، وأن البعث والنشور من أيسر الأمور عليه جلّ وعلا.

خامسًا: في سنة الإحكام ما يدل على تنزّه الباري جلّ شأنه عن العبث، فلم يخلق عبثًا ولم يترك خلقه سدىً، ولم يهمل أصغر مخلوقاته حجمًا وجرمًا فضلًا عن أكبرها وأوضحها وأظهرها، بل هيأ لكل خلقٍ ما يناسبه وذلّل لكل كائن ما يحتاج إليه. بل إن الكون كله يسير وفق نظامٍ عجيب معجز وبدقة هائلة، فلا تصادم ولا تخبط ولا تخلف ولا تراجع. وكل ما تراه من إحكام مبهر في ثبات واطراد دائم مستمر لا يتوقف، فتبارك الله أحسن الخالقين.

سادسًا: من صور تجلّي آثار الأسماء والصفات في سنة الإحكام: كمال الملك والعلم والحكمة والقدرة والمشيئة والعظمة والقوة والرحمة، فلأن الله تعالى هو الذي خلق ما ترى في خلقه من تفاوت أو اختلاف أو شقوق أو صدوع أو أي شيءٍ يشوبه، فهو إذن الربُّ الخالق الذي له حقيقة الملك. ولأنه تعالى أقام الكون على هذا النظام المحكم فهو العليم بخلقه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سورة الملك: 14]. ولأنه أمسك السماوات أن تقع على الأرض، وأمسك الطير في الهواء وحفظها من السقوط، وأولج الليل في النهار وأولج النهار في الليل، وأجرى الشمس والقمر وجميع الكواكب في مدارات خاصة بكلٍ منها على حدة، وخلط بين الماء العذب والماء المالح ثم حجز كلًّا منهما فلا يطغى أحدهما على الآخر، فهو القادر العظيم في قدرته وقوته. ولأنه يخلق ما يشاء ويختار ويعطي ما شاء لمن شاء ويحرم ما شاء عمن شاء فهو ذو الإرادة النافذة والمشيئة الشاملة. ولأنه أقام الوجود على نظام ثابت شامل مطرد فهو الرحمن الرحيم بخلقه.

سابعًا: في تعلق سنة الإحكام بصفة الرحمة على جهة الخصوص فائدة لطيفة وهي: أن هذا الإحكام والنظام رحمةٌ من الله لعباده؛ إذ أن باختلال النظام يعيش الناس في حرجٍ وضيقٍ ومشقة فلا يمكنهم ربط النتائج بالمقدمات ولا الأسباب بالمسببات وكل ما هو قادم مجهولٌ بالنسبة لهم وهذا فيه من المشقة والعناء ما فيه.

---

[36]- تفسير القرطبي (18/ 208).
[37]- تفسير المراغي (7/29).
[38]- تفسير ابن عاشور (29/ 16 – 18).

ثامنًا: "الإحكام" سنة كونية عامة تندرج تحتها سنة إلهية أخرى هي سنة التسخير، فما التسخير الإلهي للعباد إلا صورة من صور إحكام الكون وإتقانه وجعله صالحًا لاستخلاف الإنسان في الأرض، وتأمل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة الملك: 15].

المبحث الثالث: سنة التسخير.

ومن الآيات التي تظهر فيها سنة التسخير ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة البقرة: 22].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا﴾ [سورة البقرة: 29].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ لِتَجۡرِىَ فِى ٱلۡبَحۡرِ بِأَمۡرِهِۦۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡأَنۡهَٰرَ ٣٢ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ٣٣ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ [سورة إبراهيم: 32 – 34].

ويذكر تعالى في سورة النحل صورًا كثيرة من صور التسخير الإلهي للإنسان فيقول: ﴿وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٧ وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗۚ وَيَخۡلُقُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [سورة النحل: 5 – 8] إلى قوله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٖۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [سورة النحل: 16].

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمۡ فِى ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [سورة النحل: 66].

وقوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزۡجِى لَكُمُ ٱلۡفُلۡكَ فِى ٱلۡبَحۡرِ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ٦٦ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [سورة الإسراء: 66 – 67].

وقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [سورة لقمان: 20].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۢ﴾ [سورة الملك: 30].

هذه بعض تلك الآيات الدالة على سنة الله في التسخير، ومما قاله المفسرون حولها ما يأتي:

يقول الطبري في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾ [سورة البقرة: 22]: "وقوله: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا﴾ مردود على "الذي" الأولى في قوله "اعبدوا ربكم الذي خلقكم"، وهما جميعًا من نعت "ربكم"، فكأنه قال: اعبدوا ربكم الخالقكم، والخالق الذين من قبلكم، الجاعل لكم الأرض فراشًا. يعني بذلك أنه جعل لكم الأرض مهادًا موطأ وقرارًا يستقر عليها...وإنما ذكر تعالى ذكره السماء والأرض فيما عدد عليهم من نعمه التي أنعمها عليهم؛ لأن منهما أقواتهم وأرزاقهم ومعايشهم، وبهما قوام دنياهم. فأعلمهم أن الذي خلقهما وخلق

جميع ما فيهما وما هم فيه من النعم، هو المستحق عليهم الطاعة، والمستوجب منهم الشكر والعبادة، دون الأصنام والأوثان، التي لا تضر ولا تنفع".[39]

ويقول السعدي: "﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ [سورة البقرة: 22] أي: نظراء وأشباهًا من المخلوقين، فتعبدونهم كما تعبدون الله، وتحبونهم كما تحبون الله، وهم مثلكم، مخلوقون، مرزوقون مدبرون، لا يملكون مثقال ذرة في السماء ولا في الأرض، ولا ينفعونكم ولا يضرون، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الله ليس له شريك، ولا نظير، لا في الخلق، والرزق، والتدبير، ولا في العبادة فكيف تعبدون معه آلهة أخرى مع علمكم بذلك؟ هذا من أعجب العجب، وأسفه السفه. وهذه الآية جمعت بين الأمر بعبادة الله وحده، والنهي عن عبادة ما سواه، وبيان الدليل الباهر على وجوب عبادته، وبطلان عبادة من سواه، وهو ذكر توحيد الربوبية، المتضمن لانفراده بالخلق والرزق والتدبير، فإذا كان كل أحد مقرًا بأنه ليس له شريك في ذلك، فكذلك فليكن إقراره بأن الله لا شريك له في العبادة، **وهذا أوضح دليل عقلي على وحدانية الباري، وبطلان الشرك**".[40]

ويقول ابن عاشور: "ومعنى جعل الأرض فراشًا أنها كالفراش في التمكن من الاستقرار والاضطجاع عليها وهو أخص أحوال الاستقرار. والمعنى أنه جعلها متوسطة بين شدة الصخور بحيث تؤلم جلد الإنسان وبين رخاوة الحمأة بحيث يتزحزح الكائن فوقها ويسوخ فيها وتلك منة عظيمة. وأما وجه شبه السماء بالبناء فهو أن الكرة الهوائية جعلها الله حاجزة بين الكرة الأرضية وبين الكرة الأثيرية فهي كالبناء فيما يراد له البناء وهو الوقاية من الأضرار النازلة، فإن للكرة الهوائية دفعًا لأضرار أظهرها دفع ضرر طغيان مياه البحار على الأرض ودفع أضرار بلوغ أهوية تندفع عن بعض الكواكب إلينا وتلطيفها حتى تختلط بالهواء أو صد الهواء إياها عنا..".[41]

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [النحل: 66] يقول القرطبي: "...وهي هنا الأصناف الأربعة: الإبل والبقر والضأن والمعز. ﴿لَعِبْرَةً﴾ أي: دلالة على قدرة الله ووحدانيته وعظمته...وقال أبو بكر الوراق: العبرة في الأنعام **تسخيرها** لأربابها وطاعتها لهم، وتمردك على ربك وخلافك له في كل شي...، ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا﴾ نبه سبحانه على عظيم قدرته بخروج اللبن خالصا بين الفرث والدم. والفرث: الزبل الذي ينزل إلى الكرش...وقال ابن عباس: إن الدابة تأكل العلف، فإذا استقر في كرشها طبخته فكان أسفله فرثًا وأوسطه لبنًا وأعلاه دمًا، والكبد مسلط على هذه الأصناف فتقسم الدم وتميزه وتجريه في العروق، وتجري اللبن في الضرع ويبقى الفرث كما هو في الكرش. ﴿خَالِصًا﴾ يريد: من حمرة الدم وقذارة الفرث وقد جمعهما وعاء واحد. وهذه قدرة لا تنبغي إلا للقائم على كل شيء بالمصلحة".[42]

ويقول المراغي: "فإن الله جلت قدرته جعل الحيوان يتغذى بما يأكل من نبات ولحوم ونحوهما حتى إذا هضم المأكول تحول بإذنه تعالى إلى عصارة نافعة للجسم وفضلات تطرد إلى الخارج، ومن هذه العصارة يتكون الدم الذي يسري في عروق الجسم لحفظ الحياة، وبعض هذا الدم يذهب إلى الغدد التي في الضرع فتحولها إلى لبن، فكأن الصانع الحكيم جعلها مصنعًا ومعملًا لتحويل الدم إلى لبن، وهكذا في الجسم غدد أخرى كالغدد الأنفية للمخاط والغدد الدمعية للعين، والغدد المنوية التي تحول الدم إلى مادة التلقيح".[43]

ويقول ابن عاشور: "هذه حجة أخرى ومنة من المنن الناشئة عن منافع خلق الأنعام، أدمج في منتها العبرة بما في دلالتها على بديع صنع الله تبعا لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ إلى قوله: ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [سورة النحل: 5- 7]. ومناسبة ذكر هذه النعمة هنا أن بألبان الأنعام حياة الإنسان كما تحيا الأرض بماء السماء، وأن لآثار ماء السماء أثرًا في تكوين ألبان الحيوان بالمرعى.[44] واختصت هذه العبرة بما تنبه إليه من بديع الصنع والحكمة في خلق الألبان".[45]

وفي قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة الإسراء: 66] يقول الطبري: "ربكم أيها القوم هو الذي **يسير** لكم السفن في البحر، فيحملكم فيها ﴿لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ لتوصلوا بالركوب فيها إلى أماكن تجاراتكم

---

[39]- تفسير الطبري (1/ 367).
[40]- تفسير السعدي ص44.
[41]- تفسير ابن عاشور (1/ 331).
[42]- تفسير القرطبي (10/ 124، 125).
[43]- تفسير المراغي (14/ 103).
[44]- يشير هنا إلى مناسبة الآية بالآية التي قبلها وهي قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [سورة النحل: 65].
[45]- تفسير ابن عاشور (14/ 199).

ومطالبكم ومعايشكم، وتلتمسون من رزقه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمًا﴾ يقول: إن الله كان بكم رحيمًا حين أجرى لكم الفلك في البحر، **تسهيلًا** منه بذلك عليكم التصرف في طلب فضله في البلاد النائية **التي لولا تسهيله ذلك** لكم لصعب عليكم الوصول إليها".[46]

ويقول البغوي: "وإذا مسكم الضر، الشدة وخوف الغرق، في البحر ضل، أي: بطل وسقط، من تدعون، من الآلهة، إلا إياه، إلا الله فلم تجدوا مغيثا سواه".[47]

ويقول السعدي: "يذكر تعالى نعمته على العباد بما **سخر** لهم من الفلك والسفن والمراكب وألهمهم كيفية صنعتها، وسخر لها البحر الملتطم يحملها على ظهره لينتفع العباد بها في الركوب والحمل للأمتعة والتجارة. وهذا من رحمته بعباده **فإنه لم يزل بهم رحيمًا رؤوفًا يؤتيهم من كل ما تعلقت به إرادتهم ومنافعهم**".[48]

ويقول ابن عاشور: "استئناف ابتدائي وهو عود إلى تقرير أدلة الانفراد بالتصريف في العالم المشوبة بما فيها من نعم على الخلق، **والدالة** بذلك الشوب **على إتقان الصنع ومحكم التدبير لنظام هذا العالم وسيادة الإنسان فيه وعليه**...ويزجي: يسوق سوقًا بطيئًا شبه تسخير الفلك للسير في الماء بإزجاء الدابة المثقلة بالحمل... وبعد أن ألزمهم الحجة على حق إلهية الله تعالى بما هو من خصائص صنعه باعترافهم، أعقبه بدليل آخر من أحوالهم المتضمنة إقرارهم بانفراده بالتصرف ثم بالتعجيب من مناقضة أنفسهم عند زوال اضطرارهم. فجملة ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ﴾ [سورة الإسراء: 67] خبر مستعمل في التقرير وإلزام الحجة...وجملة ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ﴾ [سورة الإسراء: 67] خبر مستعمل في التعجيب والتوبيخ".[49]

وفي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ [الملك: 30] يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: (قل) يا محمد لهؤلاء المشركين: ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ أيها القوم العادلون بالله ﴿إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ يقول: غائرًا لا تناله الدلاء ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ يقول: فمن يجيئكم بماء معين، يعني بالمعين: الذي تراه العيون ظاهرًا".[50]

ويقول ابن كثير: "﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا﴾ أي: ذاهبًا في الأرض إلى أسفل، فلا ينال بالفؤوس الحداد، ولا السواعد الشداد، والغائر: عكس النابع؛ ولهذا قال: ﴿فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ﴾ أي: نابع سائح جار على وجه الأرض، لا يقدر على ذلك إلا الله، عز وجل، فمن **فضله وكرمه أن أنبع لكم المياه وأجراها في سائر أقطار الأرض، بحسب ما يحتاج العباد إليه** من القلة والكثرة، فلله الحمد والمنة".[51]

خلاصة ما سبق: نخلص من هذه النقولات في معاني الآيات إلى ما يأتي:

أولًا: "التسخير" سنة إلهية كونية تعني تسخير الخالق جلّ وعلا لخلقه – على تنوعه وتعدده – كل ما يحتاج إليه للعيش، وأداء الرسالة والمهمة المنوطة به.

ثانيًا: في سنة التسخير تتجلّى صفة الرحمة الربانية واللطف الإلهي. وفيها ما يُربّي الإنسان ويُعلّمه على ربط الأسباب بالمسببات والنتائج بالمقدمات مع تفويض الأمر كله لمُسبّب الأسباب سبحانه، وبذلك يستقيم له العيش في الأرض؛ ذلك أن في قوله تعالى في سورة الملك: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [سورة الملك: 15] ما يدل على رحمة الله ولطفه بعباده، وعلى ضرورة السعي والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله تعالى وأنه لا تناقض بينهما.

ثالثًا: في سنة التسخير ما يدل على إحكام الخالق لما خلق وعلى دقة صنعه وبديع تكوينه وعلمه بخلقه وتنزهه عن العبث، وهذا من أعظم الأدلة على وحدانية الله تعالى الذي تفرّد بعظيم القدرة وكمال الملك والعلم والحكمة.

رابعًا: لكل ذي فطرة نقية أن يتأمل ويتخيل كيف لو خلق الخالق خلقه ثم تركهم سدىً، يموج بعضهم في بعض، دون إحكام وتسخير، وتسهيل وتسديد، ودون قوانين ثابتة وسنن صارمة يستقيم بها نظام الكون! وكيف أن سنة التسخير كافيةٌ في دحض القول بالصدفة ونفي العبث الذي يتنزه عنه الباري جلّ جلاله.

---

[46]- تفسير الطبري (17/ 496).
[47]- تفسير البغوي (3/ 144).
[48]- تفسير السعدي ص462.
[49]- تفسير ابن عاشور (15/ 157 – 159).
[50]- تفسير الطبري (23/ 520).
[51]- تفسير ابن كثير (8/ 183).

خامسًا: في الآيات ربطٌ واضح بين نوعي التوحيد: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، واستدلال بالأول على وجوب الثاني، وبالتالي فإن سنة التسخير ما هي إلا سنة كونية ظاهرة يشهد بدلالتها جميع العباد؛ إما اختيارًا كحال من شرح الله صدره للإسلام فهو على نورٍ من ربه، وإما اضطرارًا كحال من ضلّ في البحر واشتد به الكرب وأقرّ حينها أن لا ملجأ له ولا مُخلّص له مما فيه إلا الله.

سادسًا: إذا تقرّر ذلك فإن ربًا خالقًا، متفردًا في تدبيره، عظيمًا في إحكامه، لطيفًا رحيمًا في تسخيره، عليمًا بخلقه وبما يحتاجون إليه؛ هو الإله الحق المستحق للعبادة وما سواه باطل.

سابعًا: لمّا اختار الخالق سبحانه وتعالى (الإنسان) واختصه من بين سائر الخلق فأكرمه بالعقل واستخلفه في الأرض، سخّر الكون كله في خدمته، وآتاه من كل ما يقوم به عيشه ويستقيم به أمره، من هواء يتنفسه، وماء يشربه، وطعام يأكله، وركوبٍ يتنقل عليه في البر والبحر والجو، ومأوى يسكنه، وزوج يأنس به، وبنين وحفدة، ورزقٍ من شتى الطيبات؛ وذلك ليستطيع العيش في هذه الأرض ويعمرها كما أمره.

ثامنًا: من صور الإحكام الإلهي والتسخير الرباني: سنة الرزق، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة هود: 6]. وفي آية الملك وجمعها بين تذليل الأرض وبين الرزق ربطٌ بديع بين سنة التسخير وسنة الرزق.

المبحث الرابع: سنة الرزق.

تظهر سنة الرزق في عددٍ من آيات القرآن الكريم - قد تقدم بعضها - ومنها كذلك ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة آل عمران: 37].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة الإسراء: 30].

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: 60]

وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت: 60].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ فَنُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا تَأۡكُلُ مِنۡهُ أَنۡعَٰمُهُمۡ وَأَنفُسُهُمۡۖ أَفَلَا يُبۡصِرُونَ﴾ [سورة السجدة: 27].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سورة سبأ: 24].

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١ وَذَلَّلۡنَٰهَا لَهُمۡ فَمِنۡهَا رَكُوبُهُمۡ وَمِنۡهَا يَأۡكُلُونَ ٧٢ وَلَهُمۡ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُۖ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ﴾ [سورة يس: 71 – 73].

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [سورة الشورى: 19].

وقوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ [سورة الملك: 21].

هذه بعض آيات القرآن الكريم الدالة على سنة الرزق، ومما قاله المفسرون حولها ما يأتي:

يقول الطبري في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [سورة آل عمران: 37]: "...خبر من الله أنه يسوق إلى من يشاء من خلقه رزقه، بغير إحصاء ولا عدد يحاسب عليه عبده. لأنه جل ثناؤه لا ينقص سوقه ذلك إليه كذلك خزائنه، ولا يزيد إعطاؤه إياه، ومحاسبته عليه في ملكه، وفيما لديه شيئًا، ولا يعزب عنه علم ما يرزقه، وإنما يحاسب من يعطي ما يعطيه، من يخشى النقصان من ملكه، ودخول النفاد عليه بخروج ما خرج من عنده بغير حساب معروف، ومن كان جاهلًا بما يعطى على غير حساب".[52]

[52]- تفسير الطبري (6/ 359).

ويقول السعدي: " ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ أي: من غير حسبان من العبد ولا كسب، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [سورة الطلاق: 2 – 3]".[53]

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ [سورة الإسراء: 30] يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إن ربك يا محمد يبسط رزقه لمن يشاء من عباده، فيوسع عليه، ويقدر على من يشاء، يقول: ويقتر على من يشاء منهم، فيضيق عليه ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾: يقول: إن ربك ذو خبرة بعباده، ومن الذي تصلحه السعة في الرزق وتفسده؛ ومن الذي يصلحه الإقتار والضيق ويهلكه ﴿بَصِيرٗا﴾: يقول: هو ذو بصر بتدبيرهم وسياستهم".[54]

ويقول ابن كثير: "إخبار أنه تعالى هو الرزاق، القابض الباسط، المتصرف في خلقه بما يشاء، فيغني من يشاء، ويفقر من يشاء، بما له في ذلك من الحكمة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ أي: خبير بصير بمن يستحق الغنى ومن يستحق الفقر، كما جاء في الحديث: "إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسدت عليه دينه، وإن من عبادي لمن لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسدت عليه دينه". وقد يكون الغنى في حق بعض الناس استدراجا، والفقر عقوبة عياذًا بالله من هذا وهذا".[55]

ويقول الشوكاني: " أي: يوسعه على بعض ويضيقه على بعض لحكمة بالغة، لا لكون من وسع له رزقه مكرمًا عنده، ومن ضيقه عليه هائنًا لديه... وفي هذه الآية دليل على أنه المتكفل بأرزاق عباده، فلذلك قال بعدها: ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أملق الرجل: لم يبقَ له إلا الملقات، وهي الحجارة العظام الملس...نهاهم الله سبحانه عن أن يقتلوا أولادهم خشية الفقر، وقد كانوا يفعلون ذلك، ثم بين لهم أن خوفهم من الفقر حتى يبلغوا بسبب ذلك إلى قتل الأولاد لا وجه له، فإن الله سبحانه هو الرازق لعباده، يرزق الأبناء كما يرزق الآباء فقال نحن نرزقهم وإياكم ولستم لهم برازقين حتى تصنعوا بهم هذا الصنع".[56]

ويقول المراغي: "أي إن ربك أيها الرسول يبسط الرزق لمن يشاء ويوسع عليه، ويقتر على من يشاء ويضيق عليه، بحسب **السنن** التي وضعها لعباده في كسب المال، وحسن تصرفهم في جمعه، بالوسائل **والنظم التي وضعها في الكون**".[57]

ويقول ابن عاشور: "...وجملة ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا﴾ تعليل لجملة إن ربك يبسط الرزق إلى آخرها، أي هو يفعل ذلك لأنه عليم بأحوال عباده وما يليق بكل منهم **بحسب ما جبلت عليه نفوسهم، وما يحف بهم من أحوال النظم العالمية التي اقتضتها الحكمة الإلهية المودعة في هذا العالم**".[58]

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سورة العنكبوت: 60] يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتارًا، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾، يعني: غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يومًا بيوم ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العيلة ﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوكم، من إذلال الله إياهم، ونصرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه".[59]

ويقول القرطبي: " ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ يسوي بين الحريص والمتوكل في رزقه، وبين الراغب والقانع، وبين الحيول والعاجز حتى لا يغتر الجلد أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور العاجز أنه ممنوع بعجزه".[60]

ويقول ابن كثير: "ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار؛ ولهذا قال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٖ لَّا تَحۡمِلُ

---

(53)ـ تفسير السعدي ص128.
(54)ـ تفسير الطبري (17/ 435).
(55)ـ تفسير ابن كثير (5/ 71).
(56)ـتفسير الشوكاني (3/ 264، 265).
(57)ـ تفسير المراغي (15/ 40، 41).
(58)ـ تفسير ابن عاشور (15/ 86).
(59)ـ تفسير الطبري (20/ 58).
(60)ـ تفسير القرطبي (13/ 360).

رِزْقَهَا﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئًا لغد، ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا وَإِيَّاكُمۡۚ﴾ أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء...".[61]

ويقول الشوكاني: "قال الحسن: تأكل لوقتها، لا تدخر شيئًا. قال مجاهد: يعني الطير والبهائم تأكل بأفواهها ولا تحمل شيئا".[62]

ويقول ابن عاشور: "والحمل في قوله: ﴿لَّا تَحۡمِلُ رِزۡقَهَا﴾ يجوز أن يكون مستعملًا في حقيقته، أي تسير غير حاملة رزقها لا كما تسير دواب القوافل حاملة رزقها، وهو علفها فوق ظهورها بل تسير تأكل من نبات الأرض. ويجوز أن يستعمل مجازًا في التكلف له، مثل قول جرير: حملت أمرًا عظيمًا فاصطبرت له أي لا تتكلف لرزقها. وهذا حال معظم الدواب عدا النملة والفارة، قيل وبعض الطير كالعقعق. وتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في قوله: ﴿ٱللَّهُ يَرۡزُقُهَا﴾ دون أن يقول: يرزقها الله، ليفيد بالتقديم معنى الاختصاص، أي الله يرزقها لا غيره، فلماذا تعبدون أصنامًا ليس بيدها رزق".[63]

وفي قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ [سورة الشورى: 19] يقول المراغي: " أي إنه بر تعالى بر بعباده يرسل إليهم أعظم المنافع، ويدفع عنهم أكبر البلاء، فيرزق البر والفاجر، لا ينسى أحدًا منهم، ويوسع الرزق على من يشاء منهم، ويقتره على من يشاء، ليمتحن الغني بالفقير والفقير بالغني... ثم ذكر ما هو كالعلة لذلك فقال: ﴿وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ﴾ أي: وهو القادر على ما يشاء، العزيز الذي لا يقدر أحد أن يمنعه عن شيء مما يريده".[64]

ويقول ابن عاشور: "هذه الجملة توطئة لجملة ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ﴾ [سورة الشورى: 20]؛ لأن ما سيذكر في الجملة الآتية هو أثر من آثار لطف الله بعباده ورفقه بهم وما يسر من الرزق للمؤمنين منهم والكفار في الدنيا، ثم ما خص به المؤمنين من رزق الآخرة".[65]

وفي قوله تعالى ﴿أَمَّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي يَرۡزُقُكُمۡ إِنۡ أَمۡسَكَ رِزۡقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ [سورة الملك: 21] يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: أم من هذا الذي يطعمكم ويسقيكم، ويأتي بأقواتكم إن أمسك بكم رزقه الذي يرزقه عنكم. وقوله: ﴿بَل لَّجُّواْ فِي عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾ يقول: بل تمادوا في طغيان ونفور عن الحق واستكبار". [66]

ويقول ابن عاشور: "والرزق: ما ينتفع به الناس، ويطلق على المطر، وعلى الطعام...وجيء بالصلة فعلًا مضارعًا لدلالته على التجدد؛ لأن الرزق يقتضي **التكرار** إذ حاجة البشر إليه مستمرة...".[67]

خلاصة ما سبق: نخلص من هذه النقولات في معاني الآيات إلى ما يأتي:

أولًا: "الرزق" سنة إلهية كونية تعني خلق الله تعالى مقومات العيش لمخلوقاته - من طعام وشراب ونحوهما - وتسخيره جلّ وعلا لهذه الأرزاق، وسوقها لخلقه، وهدايتهم إلى مواطنها، وتسهيله سبل الكسب وطرائق التحصيل.

ثانيًا: "الرزق" إلى جانب كونه سنة كونية فهو كذلك سنة اجتماعية عندما يتعلق بالبشر على وجه الخصوص؛ فهي كونية باعتبار أن الله جلّ وعلا هو الرازق على الحقيقة وهو مُسخّر الرزق لجميع مخلوقاته، وهي اجتماعية باعتبار سعي الإنسان في الحصول على رزقه الذي كتبه الله له وتفاعله مع بني جنسه بما يقتضيه ويتطلبه طلب الرزق من بيع وشراء وعمل وتكسب وتجارة ونحو ذلك.

ثالثًا: "الرزق" مصطلح واسع يدخل تحته كل ما تحتاجه المخلوقات بعامة، وما ينتفع به الناس بخاصة من طعام، وشراب، وهواء، ولباس، وركوب، ومطر يحيي الأرض فيخرج كنوزها من زروع وثمار، وأنعام تؤكل وتُشرب ألبانها ويُحمل عليها، وصحة في الأبدان، وأمن في الأوطان، وهداية إلى طريق الحق والرشاد والصواب في أمور الدنيا وأمور الآخرة.

---

[61]ـ تفسير ابن كثير (6/ 292).
[62]ـ تفسير الشوكاني (4/ 243).
[63]ـ تفسير ابن عاشور (21/ 25).
[64]ـ تفسير المراغي (25/ 34).
[65]ـ تفسير ابن عاشور (25/ 71).
[66]ـ تفسير الطبري (23/ 514).
[67]ـ تفسير ابن عاشور (29/ 43).

رابعًا: في سنة الرزق يتجلّى من الأسماء والصفات: كمال الملك والقدرة الإلهية الدالة على وحدانية الباري جلّ وعلا؛ فالرزق ملكه، وتيسير الرزق لعباده بقدرته وحده. وبهذا يُقرّ المشركون - وإن جحدوا ظاهرًا وتمادوا في غيّهم واستكبارهم -؛ إذ لا برهان لهم غيره، يقول الله تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [سورة النمل: 64].

خامسًا: في سنة الرزق يتجلّى كذلك من الأسماء والصفات: اللطف الإلهي والرحمة الربانية مع كمال العلم والحكمة والمشيئة؛ فمن رحمة الله بخلقه أن سخّر لهم رزقه ودلّهم على سبله وطرق تحصيله، ومع ذلك فإن رزقه جلّ وعلا يسير وفق علمه الدقيق بخلقه وحكمته البالغة وتقديره الحكيم، فتراه يوسع ويبسط الرزق لمن شاء ويضيق ويقبض الرزق على من شاء، لا رادّ لمشيئته ولا معقب لحكمه.

سادسًا: في سنة الرزق يوسع الله رزقه لمن شاء إما فضلًا منه ورحمةً ابتداءً، وإما امتحانًا واختبارًا، وإما استدراجًا وإمهالًا وعذابًا. ويضيق الله الرزق على من شاء إما حماية لعبده منةً ورحمةً به، وإما امتحانًا له واختبارًا، وإما حرمانًا وعذابًا.[68]

سابعًا: من لطائف سنة الرزق: أن الله تعالى يعطي الدنيا لمن أحبّ وكره، ولا يعطي الآخرة إلا لمن أحبّ؛ فهو في الدنيا يرزق البرّ والفاجر والمؤمن والكافر و "لا تموت نفسٌ حتى تستكمل رزقها" كما قال ﷺ[69]، أما الآخرة وما فيها من رزقٍ عظيم وجنةٍ عرضها السماوات والأرض، فيها من أصناف النعيم ما تقرّ به العيون، فلا يعطيها إلا لمن نالته رحمته ومحبته ورضي عمله.

ثامنًا: في سنة الرزق هناك أسباب لجلبه وأسباب لمحقه، **فمن أهم أسباب جلب الرزق**: تقوى الله والاستقامة على هداه، الاستغفار والتوبة، صلة الرحم، الدعاء، الصبر، الصدقات والإنفاق، التوكل على الله والاعتماد عليه والاستعانة به في حصول الرزق، فعل الطاعات واجتناب الذنوب. يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96)﴾. [سورة الأعراف: 96]. **ومن أهم أسباب محق الرزق وإزالة بركته**: الكفر والإعراض عن ذكر الله، فعل الذنوب، منع الزكاة ومنع حقوق الفقراء والمساكين، نقص المكيال والميزان، الكذب وكتمان العيوب في البيوع، الظلم بشتى أنواعه يقول تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [سورة النساء: 160 – 161].[70]

هذا، وبعد أن تبينت هذه السنن وتمّ الكلام حولها، لم يتبقَ في هذا الفصل إلا التأكيد بأن تلك السنن في مجملها ليست إلا بيان إلهي وتذكير بشواهد الربوبية والإنعام واستحقاق الله تعالى الخالق المُحكِم المسخّر الرازق أن يفرد بالألوهية والعبادة. ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [سورة يونس: 32]، ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [سورة الذاريات: 20 – 23].

خاتمة

وبعد أن تمّ هذا البحث بعون الله وتوفيقه أُلخّص أهم نتائجه:

- السنن الإلهية هي عادة الله تعالى وطريقته في تدبير الكون وتسيير الحياة وهي بمثابة القوانين التي أقام عليها الوجود وحفظ بها الكون وأخضع لها مخلوقاته بمقتضى حكمته وقدرته ومشيئته.
- تنقسم السنن الإلهية إلى قسمين: سنن كونية قدرية طبيعية، وسنن اجتماعية تحكم حياة الإنسان على وجه الخصوص وترتبط مباشرة بالسنن الدينية الشرعية.
- من أهم ما يميز السنن الإلهية: الثبات والاطراد والشمول؛ لأن مُكوّنها ومُقدّرها واحد هو الله جلّ جلاله الذي خلق الكون وهو العالم بما يصلحه.
- قد تنخرق السنن الكونية لحكمة ربانية، أما السنن الدينية الشرعية فلا تنخرق لأحد.
- السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله هي تلك السنن الظاهرة المشاهدة التي تدل على عظمة الباري سبحانه واستحقاقه وحده العبادة دون سواه.

---

(68)- انظر السنن الإلهية في تغيير المجتمعات، للمغربي ص327.

(69)- مسند البزار (7/ 314) برقم (2914). والحديث قال عنه البزار: "لا نعلمه يروى عن حذيفة إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد" مسند البزار (314/7). وقال عنه الهيثمي: "رواه البزار، وفيه قدامة بن زائدة بن قدامة، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله ثقات" مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (71/4).

(70)- انظر السنن الإلهية في تغيير المجتمعات، للمغربي ص322 – 366. (بتصرف يسير).

- من تلك السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله: سنة الخلق، وسنة الإحكام، وسنة التسخير، وسنة الرزق. وهي مرتبطة ببعضها ارتباطًا يدل على كمال الباري سبحانه من جميع الوجوه.

ومن أهم التوصيات:

- ضرورة البحث في السنن الإلهية واستخراجها من النصوص الشرعية ومن الكون الفسيح، وتوظيفها في الإصلاح وعمارة الأرض وتغيير الأحوال إلى الأفضل، انطلاقًا من قول الله تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.
- ضرورة دراسة السنن دراسة عقدية تربط الخلق بخالقهم جلّ وعلا وتفسر أحداث الكون تفسيرًا صحيحًا بعيدًا عن لوثة الفلسفات المادية.

المصادر والمراجع

[1] الآثار الاجتماعية للسنن الإلهية، رشيد كهوس، مجلة الداعي، جمادى الآخرة – رجب 1444ه، المنظومة. http://search.mandumah.com/Record/1347605.

[2] الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي الظاهري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، تقديم: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة – بيروت، (د. ط) (د. ت).

[3] أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق، أحمد بن محمد كنعان، تقديم: عمر عبيد حسنة، أمتي للنشر الإليكتروني.

[4] التحرير والتنوير (تفسير ابن عاشور)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

[5] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين القلموني الحسيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

[6] تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ - 1999م.

[7] تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ - 1946م.

[8] تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

[9] تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

[10] جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.

[11] جامع الرسائل، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، دار العطاء – الرياض، الطبعة: الأولى، 1422هـ - 2001م.

[12] الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ.

[13] الرد على المنطقيين، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، دار المعرفة – بيروت، (د. ط)، (د. ت).

[14] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)، محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

[15] السنن الإلهية الكونية والاجتماعية مقدمات ومفاهيم وأصول، رشيد كهوس، المعهد العالي الإسلامي بحيدر آباد – الهند، الطبعة الأولى، 1444ه.

[16] السنن الإلهية في تغيير المجتمعات في ضوء القرآن الكريم، أيمن بن نبيه المغربي، رسالة دكتوراة بجامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين – قسم الكتاب والسنة.

[17] سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم، حسن بن صالح الحميد، دار الفضيلة – الرياض، الطبعة: الثانية، 1432ه.

[18] الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: أحمد عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، 1407هـ - 1987م.

[19] فتح القدير (تفسير الشوكاني)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.

[20] لسان العرب، محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

[21] مجلة المنار، محمد رشيد بن علي رضا، ومجموعة من المؤلفين، المكتبة الشاملة، https://shamela.ws/index.php/book/6947

[22] مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، 1414 هـ، 1994 م.

[23] مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1416هـ/1995م.

[24] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية)، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

[25] مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، أحمد بن عمرو المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1988م.

[26] معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

[27] معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

RESEARCH ARTICLE

DIVINE SUNNAHS RELATED TO BELIEF IN ALLAH THROUGH THE HOLY QURAN

Saleha bint Hassan Mohammad Al-Shehry[1,2,*]

[1] *Dept. of Creed and Contemporary Schools of Thought, College of Sharia & Fundamentals of Religion, King Khalid University, Abha, Saudi Arabia.*
[2] *Dept. of Sharia and Islamic Studies, Faculty of Arts & Humanities, King Abdulaziz University, Jeddah, Saudi Arabia.*

*** Corresponding author: Saleha bint Hassan Mohammad Al Shehry; E-mail: Saleha1409@hotmail.com**

Received: 10 June 2025 / Accepted 25 June 2025 / Published online: 30 June 2025

Abstract

The research revolves around extracting the divine laws related to belief in Allah from the verses of the Holy Qur'an and studying them doctrinally. It consists of two chapters: one is theoretical, in which I defined the meaning of divine laws linguistically and technically, and the meaning of the divine laws related to belief in Allah. The other is practical: in it I talked about the most prominent divine laws related to belief in Allah, and I provided evidence for them from the Qur'an and mentioned the commentators' statements about them. Then I deduced from the sum of the verses and the commentators' statements the most important meanings of those laws and their doctrinal implications. Then I concluded the research with the results I reached, the most important of which is that the divine laws related to belief in Allah are those apparent, observable laws that indicate the greatness of the Creator, glory be to Him, and that He alone deserves worship, without anyone else. Among the most important of those laws are: the law of creation, the law of perfection, the law of subjugation, and the law of provision. I mentioned some recommendations, the most important of which is the necessity of studying the letter "seen" as a doctrinal study that connects creation to others, glory be to Him, and explains the events of the universe with a correct explanation, far from the pollution of materialistic philosophies. Then I concluded the research with its most important sources and references.

Keywords: Divine Laws, Creation, Perfection, Subjugation, Provision.

كيفية الاقتباس من هذا البحث:

الشهري، ص. ح. م.، (2025). السنن الإلهية المتعلقة بالإيمان بالله من خلال القرآن الكريم. مجلّة جامعة عدن الإلكترونيّة للعلوم الانسانيّة والاجتماعية، 6(2)، ص205-225. https://doi.org/10.47372/ejua-hs.2025.2.441

حقوق النشر © 2025 من قبل المؤلفين. المرخص لها EJUA، عدن، اليمن. هذه المقالة عبارة عن مقال مفتوح الوصول يتم توزيعه بموجب شروط وأحكام ترخيص Creative Commons Attribution (CC BY-NC 4.0).